خبر مقتل بنى أُميّة

تمهيد لابن واصل فى العداوة بين عبد شمس و هاشم

أتفق أصحاب الأخبار على أن عَبد شمس بن عَبد مناف بن قُصى كان أخا هاشم ابن عَبد مناف ، جدّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لأبيه وأُمه . وذُكر أنهما كانا توأمين ، وأنهما خَرجا ملتصقَيْن ، ففُصل بينهما فجرى منهما دَمٌ ، فتطيّر من ذلك ، وقيل : إنه يكون بين الأخوَين دَمٌ ، فكان كذلك . فكان أُمية بن عبد شمس ينافس ابن عمّه عبد المطلب بن هاشم و يَحْسُد مكانته . وكان عبد المطلب أجلّ وأعظم . ولما جاء الإسلامُ و بُعث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، كان أشدَّ البطون عداوة له بنو عبد شمس . كان منهم عُتبة ، وشَيبة ، والوليد ، صناديد الكُفْر ؛ وأبو سُفيان بن حَرب قائد قريش . ومَنَّ الله سبحانه على جَماعةٍ منهم بالإسلام والسَّبْق والهجرة ، وهم عثمان ، وأبو حُذيفة ابن عُتبة ، وخالد بن سعيد ، رضى الله عنهم . ثم أظهر الله رسولَه وفَتح له مكةَ وأسلم أبو سفيان ومن بقى من أهل مكة . ثم تُوفى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ووَلى بعده الخلفاء الرّاشدون ، وقَمع الله بهم إحَن الجاهليّة . فلما انقضت أيامُ الخلفاء الراشدين وصارتْ الخلافةُ إلى بنى أُمية أظهروا عداوةَ بنى هاشم و إبعادهم ، وأكّد ذلك فى نفُوسهم خوفُهم أن يَسْلبوهم مُلْكهم ، إذ كان الناس إلى بنى هاشم أميلَ . فقُتل فى أيامهم الحُسين بن على رضى الله عنهما ، وجماعة من أهل بيته بكَرْبلاء ، ثم قُتل يزيد بن علىّ بن الحُسين بالكُوفة وصُلب بها وأُحرق ، ثم قتل ابنه يحيى بن يزيد بخُراسان . فقويت بسبب ذلك الإحَن بين البيتَيْن وصارت لبنى العبّاس شيعةٌ بخُراسان ، واضطرب فى آخر الأمر مُلك بنى أُمية

ووقعت الفتن بينهم ، فقويتْ شِيعةُ بنى هاشم بخُراسان وظهر بها أبو مسلم صاحبُ الدعوة ، واستولى على خُراسان وعظُمت جنودُه وجعلوا شعارهم السوادَ . ثم قصدتْ المُسوّدةُ العراقَ و بايعوا بالخلافة السفّاح أبا العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وكان هو وأهل بيته مُقيمين بالشام بقَرْية يقال لها الحُميمة . وكان صاحبَ الأمر الذى الدّعوة له أخوه إبراهيم الإمام . فظَفر به مروان بن محمد الحِمار ، وهو آخر خلفاء بنى أمية ، وحَبسه بحرّان ثم قتله فى الحَبس . ولما قُبض على إبراهيم أوصى إلى أخيه أبى العبّاس . ولما بويع أبو العباس بَعث عمّه عبد الله بن علىّ فى الجُنود لقتال مَروان الحمار ، فالتقَوا بزاب المَوْصل . فانهزم مروان هَزيمةً قبيحة ، وأتبعته الجُيوش . فقَصد دمشق ثم مِصر .

مقتل مروان الحمار

قال أبو الفرج : فأتبعه عبد الله بن علىّ بقائد من قُوّاد خُراسان ، يقال له : عامر أبو إسماعيل ، فلحقه بقَرية من قُرى مِصْر يقال لها : بُوصِير . فقتله يوم الأحد لثلاث بَقين من ذى الحجّة سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ووجه برأسه إلى عبد الله ابن علىّ ، فأنفذه إلى أبى العبّاس السفّاح . فلما وُضع الرأسُ بين يديه خَرّ ساجداً وقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ، ولم يُبْق ثأرى قِبلَك وقِبلَ رَهْطك أعداء الدِّين . وتمثّل بقول ذى الإصبع العَدْوانىّ :

لو يَشْربون دَمِى لم يُرْوِ شاربَهم ولا دِماؤُهمُ للغَيظ تُرْوِينى

عبد الله بن على وابن مسلمة فى الحرب

وقيل :

نظر عبدُ الله بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس إلى فتًى عليه أُبّهة الشَّرف وهو يُقاتل مُستقتلاً[1] ، فناداه : يا فتى ، لك الأمان ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلّا أكُنْه فلستُ بدونه . قال : فلك الأمان ولو كُنتَ مَن كنت . فأطرق ثم قال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مستنتلا » والمستنتل : الخارج عن الصف .

أذُلَّ الحياة وكُرْهَ الممات وكُلًّا أراه طعاماً وَ بيلَا
فإنْ لم يكُنْ غيرُ إحداهما فَسيْراً إلى الموت سيراً جَميلا

ثم قاتل حتى قُتل ، فإذا هو ابنٌ لمَسلمة بن عبد الملك بن مَروان .

شعر سديف يغرى العباس ببنى أمية

وقيل :

جلس أبو العبّاس بن السفّاح يوماً على سريره ، و بنو هاشم دونه على الكراسىّ ، و بنو أُمية على الوسائد قد ثُنيت لهم . وكانوا فى أيام دولتهم يَجلسون هم والخليفةُ منهم على السَّرير ، و يجلس بنو هاشم على الكراسىّ . فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المُؤمنين ، بالباب رجل حجازىّ أسود راكبٌ على نَجيب متلثِّمٌ يستأذن ولا يُخبر باسمه ، وحَلف ألّا يَحْسِر اللِّثام عن وَجهه حتى يراك . فقال : هذا مولاى سُدَيف ، يدخُل . فدَخل . فلمّا نظر إلى العبّاس و بنو أُمية حوالَيه ، حَدَر اللِّثام عن وَجهه وأنشأ يقول :

أصبح المُلك ثابتَ الأساس بالبَهاليل[1] من بنى العبّاسِ
بالصُّدور المُقدَّمين قَديماً والرُّءوس القَماقم[2] الرُّؤَّاس
يا أمير المُطَهّرين من الذَّ مِّ ويارأس مُنتَهى كُلِّ راس
أنتَ مهدىُّ هاشمٍ وهُداها كم أُناسٍ رجَوْك بعد أُناس
لا تُقيلنَّ عبد شَمْس عِثَاراً وأُقطعَنْ كُلَّ رَقْلةٍ[3] وغِراس
أَنْزلوها بحيثُ أنزلها اللَّـ ـه بدارِ الهَوان والإتْعاس
خَوفُها أظهر التَّودُّد منها وبها منكمُ كَحزِّ المَواسى
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِم عنك بالسَّيف شأفةَ الأَرْجاس

(١) البهاليل : جمع بهلول ، وهو العزيز .
(٢) القماقم ، بالضم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .
(٣) الرقلة : النخلة الطويلة .

وأذْكُرن مَصْرعَ الحسين وزَيدٍ وقَتيلٍ بجانب[1] المِهْراس
والإمامَ[2] الذى بحرَّان أمسى رَهْنَ قبرٍ فى غُربةٍ وتَنـاسى
فلقد ساءنى وساء سَوائى قُرْبهم من نَمارقٍ وكَراسِى
نِعْمَ كَلْبُ الهِرَاشِ مَولاكَ لَوْلا أَوَدٌ[3] مِن حَبائل الإفْلاس

فتغيّر لون أبى العبّاس وأخذه الزَّمع والرِّعدة ، وٱلتفت بعضُ ولد سُليمان ابن عبد الملك إلى رجل منهم كان إلى جَنبه فقال : قَتلنا والله العبدُ ! ثم أقبل أبو العبّاس عليهم وقال : يا بَنى الفَواعل ! أرى قتلاكم من أهلى قد سَلفوا وأنتم أحياء تتلذّذون فى الدُّنيا ! خُـذوهم . فأخذتْهم الخُراسانيّة بالكافر كوبات[4] فأهمدوهم ، إلا ما كان من عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز ، فإنه استجار بدَاودُ بن علىّ وقال له : إن أبى لم يكُن كآبائهم ، وقد علمتَ صنيعَه إليكم . فأجاره وٱستوهبه من السفّاح وقال : قد علمتَ يا أمير المُؤمنين صَنيع أبيه إلينا . فوَهبه له وقال : لا تُرينّى وجهَه وليكن بحيث نأمنه . ثم كتب إلى عُمّاله بالنواحى بقَتل بنى أُمية .

السفاح بعد قتله بنى أمية

وقيل :

إن السفّاح أمر بالغَداء حين أمر بقتل بنى أُمية ، وأمر ببساطٍ فبُسط عليهم ، وجَلس فوقه يأكل وهم يَضْطربون تحته . فلما أكل قال : ما أعلمنى أكلتُ أكلة قطُّ كانت أهنأ ولا أطيب فى نفسى منها . فلما فَرغ من الأكل قال : جُرّوا بأَرْجلهم وألقوهم فى الطريق ليلعَنَهم الناس أمواتاً كما لَعنوهم أحياء . قال[5] :

(١) الهراش : ماء بأحد . ويريد بالقتيل : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .
(٢) الإمام ، هو إبراهيم ، رأس الدعوة العباسية ، قتله مروان بن محمد .
(٣) الأود : الكد والجهد .
(٤) الكافر كوبات : آلات كالعمد يضرب بها . فارسية .
(٥) المتحدث من إليه أسند الخبر ، وهو المعيطى ، كما ذكر أبو الفرج .

فرأيتُ الكِلاب تجرُّ بأرجلهم وعليهم سراويلاتُ الوَشى حتى أنْتنوا ، ثم حُفرت لهم حفائر فأُلقوا فيها .

لسديف يحرض السفاح

وذُكر أن سُدَيفاً مولى بنى هاشم أنشد السفّاح ، وعنده جماعة من بنى أُمية :

يا ابن عَمّ النبىّ أنت ضياء ... أُسْتَبَنّا بك اليَقين الجَليَّا
لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى من رجالٍ ... إنّ تحت الضُّلوع داء دويَّا
جَرِّد السَّيف وارفع العَفْو حتَّى ... لا تَرى فوق ظَهرها أُمويّا
بَطن البُغْضُ فى القديم وأضحى ... ثابتاً[1] فى قُلوبهم مَطْويّا

وهى قصيدة طويلة . فقال : يا سُديف ، خُلق الإنسان من عَجل . ثم قال السفّاح مُتمثِّلا :

أَحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفوا ... فلن تَبِيد وللآباء أبناء

ثم أمر بمَن عنده فقُتلوا .

قتل سليمان بن على لجماعة من الأمويين

وقيل :

حضر جماعةٌ من بنى أُمية عند سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس ، وعليهم الثّياب الموشّاة المُرتفعة ، فأمر بهم فقُتلوا .

قال الرَّاوى : فكأنى أنظر إلى أحدهم وقد أُسودّ عارضاه من الغالية[2] . ثم جُر بأرجلهم وأُلقوا على الطريق ، وإنَّ عليه لسَراويلاتِ الوشْى وإنَّ الكلاب لتجرّ بأرجلهم .

وفود عمرو بن معاوية على سليمان

وحكى المُبارك قال :

جاءنى رسولُ عمرو بن مُعاوية بن عمرو بن عُتبة بن أبى سُفيان ، فقال :

---

(١) فى الأصل : « ثاويا » .

(٢) الغالية : ضرب من الطيب .

يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولةُ وأنت حديثُ السِّنّ كثيرُ العيال مُنتشر الأموال ، فما أكون فى قَبيلة إلّا شُهِر أمرى وعُرفتُ ، وقد عزمتُ على أن أفدى حُرَمى بنَفسى ، وأنا صائر إلى باب الأمير سُليمان بن علىّ ، فصِرْ إلىَّ . فوافيتُه ، فإذا عليه طَيْلسان أبيض مُطْبق وسَراويل وَشْيٍ مَسدول ، فقلت : سبحان الله ! ما تَصنع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللّباس تَلقى هؤلاء القوم لِمَا تُريد لقاءهم فيه ! قال : لا والله ، ولكنّه ليس عندى ثَوب إلا أشهر مما ترى . فأعطيتُه طَيْلسانى وأخذتُ طيلسانه ، ولويتُ سَراويله إلى رُكبته . فدخل إلى الأمير ثم خَرج مسروراً . فقلت له : حدِّثنى ما جرى بينك و بين الأمير . قال : دخلت عليه ولم يَرَنى قطُّ ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفَظَتْنى إليك البلاد ، ودلّنى عليك فضلُك ، فإما قتلتَنى غانماً ، و إما رددْتنى سالماً . قال : ومَن أنت ؟ ما أعرفك . فانتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اُقعُد فتكلَّم غانماً . ثم أقبل علىّ فقال : ما حاجتُك يابن أخى ؟ قلت : إن الحُرَم اللّواتى أنت أقربُ الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهنّ بعدنا ، قد خِفْن بخَوْفنا ، ومن خاف خِيف عليه . فوالله ما أجابنى إلّا بدُموعه على خَدَّيه . ثم قالى لى : يا بن أخى ، يَحْقن اللهُ دَمَك ، و يَحفظك فى حُرمك ، و يُوفِّر عليك مالَك ، ووالله لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ ، فكن متوارياً كظاهر ، وآمناً كخائف ، ولتأتنى رقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتُب إليه كما يكتب الرجلُ إلى أبيه وعمّه . فلما فرغ من الحديث رددتُ عليه طَيْلسانَه . فقال : مَهْ ! إنَّ شأننا إذا فارقتْنا ثيابُنا ألّا تَرْجِع إلينا .

من شعر سديف فى تحريض السفاح

ومن شعر سُديف الذى فيه يُحرِّض السفّاح على قتل بنى أُمية :

كيف بالعَفو عنهمُ وقديماً ... قَتلوكم وهَتَّكوا الحُرُماتِ
أين زَيدٌ وأين يحيى بن زَيد ... يالَهَا من مُصيبةٍ وتِرات
والإمامُ الذى أُصيب بحَرَّا ... ن إمامُ الهُدى ورأسُ الثِّقات

قتلوا آل أحمـــد لا عفا اللـــه لمَرْوانَ غابرَ[1] السَّيئـات

لرجل من الشيعة فى مثله

وقال رجل من شيعة بنى العبَّاس يحرِّضهم على قتل بنى أُمية :

إيَّاكمُ أن تَلِينوا لاعتذارهمُ فَليس ذلك إلا الخوفُ والطَّمَعُ
لو أنّهم أمِنوا أبدَوْا عَـداوتَهم لـكنّهم قُمِعوا بالذُّل فانْقمعوا
أليس فى ألف شهرٍ قد مضت لهمُ سقَوكمُ جُرعاً من بعـدها جُرَع
حتى إذا ما انقضت أيامُ دولتهم مَتُّوا إليكمْ بالأرحام التى قَطعوا
هيهات لا بُدّ أن يُسْقَوْا بكأْسِهمُ رَيّاوأن يَحْصُد الزُّرَّاع[2] مازَرعوا
إنّا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتُكم إذا تفرَّقت الأهواء والشِّيَع

(١) فى بعض أصول الأغانى « سافر » مكان « غابر » والبيت يروى :

قتلوا آل أحمد لا عفا الذ * ب لمروان غافر السيئات

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الزرع الذى زرعوا » .

خبر حُميد بن ثَور

نسبه

هو حُميد بن ثور بن عبد بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهيك بن هِلال بن عامر ابن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

مخضرم

وهو شاعر من شُعراء الإسلام ، وقد أدرك الجاهليَّة .

شعره بعد نهى عمر عن النسيب

وذُكر أنه تَقدَّم عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه فى الشُّعراء ألَّا يَنْسُبَ(١) رجلٌ بامرأة إلا جُلد . فقال حُميد بن ثور :

أبَى الله إلّا أنّ سَرْحةَ مالكٍ ... على كُلّ أفنانِ العِضَاهِ(٢) تَرُوقُ
وقد ذَهبتْ عَرضاً وما فوق طُولها ... من السَّرحِ إلَّا عَشَّةٌ(٣) وسَحوق
فلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُه ... ولا الفَيْءُ(٤) من بَرْد العَشِيّ تَذُوق
وهل أنا إن عَلَّلْتُ نَفْسى بسَرْحةٍ ... مِن السَّرح موجودٌ(٥) علىَّ طَرِيق

وهى قصيدةٌ طويلة ، أولها :

نَأتْ أُم عمرٍو فالفُؤاد مَشُوقُ ... يَحِنّ إليها والهًا ويَتُوق

وفوده على بعض الخلفاء

وقيل :

وفد حُميد بن ثَور على بعض خُلفاء بنى أُمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يشبب » .

(٢) السرحة : الشجرة الطويلة ، يكنى بها عن المرأة . والعضاه : أعظم الشجر ؛ الواحدة : عضاهة . وتروق : تزيد عليها بحسنها .

(٣) العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : المفرطة فى الطول .

(٤) الظل : من أول النهار إلى الزوال . والفىء : من بعد الزوال إلى الليل .

(٥) ويروى : « مأخوذ على » و « مسدود على » .

أتاكَ بِيَ اللهُ الذى فوق مَنْ تَرى ... وخيرٌ ومَعروفٌ إليك دَليلُ
ومَطْوِيةُ الأقْراب أمّا نهارها ... فنَصٌّ وأمّا ليلُها[1] فَذَمِيلُ
ويَطْوى علىَّ الليلُ حِضْنَيْهِ إنّنى ... لذاكَ إذا هاب الرِّجالُ فَعُولُ

فوصلَه وصَرَفه شاكراً .

(١) الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة . وللفرس قربان ، ولكنهم يجمعون . يريد وصفها بالضمور . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . والذى فى التجريد : « فرقل » مكان « فنص » .

أخبار فُليح بن العَوْراء

ولاؤه

هو من أهل مكة . مولًى لبنى مَخزوم .

قال أبو الفَرج : ولم يَقع إلينا اسمُ أبيه .

محله فى الغنـاء

وهو أحدُ المغنِّين فى الدَّولة العباسيَّة ، وله مَحلٌّ كبير من صِناعته ، وموضع جَليل .

منزلته عند المهدى

وحَكى الفضلُ بنُ الرَّبيع قال :

كان المهـدىُّ يَسْمع المُغنِّين جميعاً ، ويحضُرون مجلسَه ، ويتغنَّوْن من وراء السِّتارة ، إلّا فُليح بن العَوْراء ، فإن عبـد الله بن مُصعب الزُّبيرىّ كان يُروِّيه شِعرَه فى مدائحه للمهـدىّ ليُغنِّيه فيـه . فدسّ فى أضغافها بيتَين يسأله فيهما أن يُنادمه ، وسأل فُليحاً أن يغنِّيهما فى أضعاف أغانيه ، وهما :

يا أمينَ الإلٰه فى الشَّرق والغَر ... ـبِ على الخَلْقِ وابْنَ عمِّ الرَّسولِ

مجلساً بالعَشىِّ عنـــدك فى المَيْـ ... ـدانِ أَبْغِى والإِذْنَ لى فى الوُصُول

فغنّاه فُليح إيّاهما . فقال المهـدى : يا فَضل ، أَجِبْ عبـد الله إلى ما سأل . وأَحضِرْه مَجلسِى إذا حَضره أهلى ومَوالىَّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلكَ أَن ترفع بينى و بين روايته فُليح الستارةُ . فكان فُليح أولَ مُغنٍّ عايَن وجهه فى مجلسهم .

صلته بمحمد بن سليمان

وحكى بعضهم قال :

دَعانى محمد بن سُليمان بن علىّ ، فقال لى : قد قَدِم فُليح بن العوراء من الحجاز ونَزل عند مسجد ابن رَغْبان[1] فصِرْ إليه ، وأَعْلمـه أنّه إن جاءنى قبل أن يدخُل

(١) فى غربى بغداد . والذى فى التجريد : « ابن عتاب » تحريف .

على الرَّشيد خلعتُ عليه خِلْعةً سنيَّةً من ثيابى ، ووهبتُ له خمسَة آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبّرتُه بذلك . فأجابنى إجابةَ مَسرور به نشيط له ، وخَرج معى . فعَدل إلى حمّام كان بقُربه ، فدعا القَيِّم وأعطاه درهمين وسأله أن يَجيئه بشىء يأكله ، و بنَبيذٍ يشربه . فجاءه برأس كأنه رأسُ عِجل ، و بنَبيذ دُوشابىّ[1] غَليظ ردىء . فقلت : لا تفعل . وجَهَدتُ به ألا يأكل ولا يشرب إلّا عند محمّد بن سليمان . فلم يلتفتْ إلىّ ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من النَّبيذ الغَليظ ، حتى طابتْ نفسُه وغنَّى ، وغنَّى القيمُ معه مليًّا ، ثم خاطب القَيمَ بما أغضبه ، وتَلاحيا وتواثبا ، فأخذ القيِّمُ شيئاً فضَرب به رأسه فشجَّه حتى جرى دمُه . فلما رأى الدمَ على وجهه اُضطرب وجَزِع . ثم قام وغَسل وجهه وجُرحه وعالجه بصُوفةٍ مُحرقةٍ وزَيت ، وعَصبه وتعمَّم وقام معى . فلما دخلنا دارَ محمد بن سُليمان ، ورأى الفُرشَ والآلة، وحضر الطعامُ فرأى سَرْوَه[2] وطِيبه، ورأى النبيذَ ، ومُدّت الستائر وغنّت الجوارى ، أقبل علىَّ وقال : يا مجنون ، سألتك بالله : أيّما أحقُّ وأولى بالعَرْبدة : مجلس القيِّم أو مجلس الأمير ؟ فقلت : وكأنه لا بدّ من عَربدة ! قال : لا والله ، مالى منها بُد، فأخرجتُها من رأسى هناك . فقلت: أمّا على هذا الشرط فالذى فعلتَ أحوطُ . فسألنى محمد عمّا كنّافيه، فأخبرتُه . فضَحك ضحكاً عالياً وقال : هذا الحديثُ والله أظرف وأطيبُ من غنائه . وخلع ثيابه عليه[3] ، وأعطاه خمسة آلاف دِرهم .

هو وفتى عاشق

وحَكى فُليح قال :

كان بالمدينة فتًى يَعْشق اُبنة عمٍّ له ، فوعدتْه أنها تَزوره ، وشكا إلىّ أنها تأتيه ولا شىء عنده . فأعطيتُه ديناراً للنَّفقة . فلما زارتْه قالت له : من يُلهِّينا ؟ قال : صديق لى ، ووَصفنى لها ، ودعانى فأتيتُه . فكان أول ما غنَّيته :

(١) دوشابى : نسبة إلى دوشاب ، وهو نبيذ التمر . فارسى معرب .

(٢) سروه ، أى جودته وكثرته . والذى فى بعض أصول الأغانى : «سروره» .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وخلع عليه » .

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضح أخاها ولم تَرْفع لوالدها[1] شَنَارَا

فقامتْ إلى ثوبها فلبستْه لتنصرفَ . فتعلَّق بها وجَهد كُل الجَهد فى أن تُقيم . فلم تَفْعل ، وانصرفت . وأقبل علىّ يَلومنى فى أن غَنَّيتُها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شىءٌ اعتمدتُ به مساءتك ، ولكنّه شىء اتّفق . قال : فلم نَبرح حتى عاد رسولُها ومعه صُرَّة فيها ألفُ دينار فَدفعها إلى الفَتى وقال : تقول لك ابنةُ عمّك : هذا مَهْرى فادْفعه إلى أبى واخطُبنى . ففعل وتزوَّجها .

والشعر لسُليك بن السُّلَكة السَّعدىّ :

كأنّ مجامع الأرداف منها نَقًا درجتْ عليه الرِّيحُ[2] هارَا

يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْل قَلْبى وأَتْبَع المُمنَّعةَ[3] النَّوارا

(١) الخفرات : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار .

(٢) النقا : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدم .

(٣) النوار : المرأة النفور من الريبة .

أخبار ابن هَرْمة

نسبه

هو إبراهيمُ بن علىّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيل بن الرَّبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عدىّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهر . وإلى فِهر يَنتهى نَسب قُريش . وقيل إنهم ينتهون إلى النَّضْر بن كِنانة .

وولدُ قيس بن الحارث يقال لهم : الخُلُج . وكانوا فى عَدْوان، ثم انتقلوا عنهم إلى بنى نَصْر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن . فلما أفضت الخلافةُ إلى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أَتَوْه ليفرِض لهم ، فأنكر نَسبهم . فلما استُخلف عثمان بن عَفّان رضى الله عنه أتَوه فأثْبتهم فى بنى الحارث بن فِهر ، وجعل لهم ديواناً . وإنما سُمُّوا الخُلُج لأنهم اختلجوا ممن كان معهم من عَدوان ومن بنى نَصر بن مُعاوية . وأهلُ المدينة يقولون : إنما سُمّوا الخُلج ، لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلج فسمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عَدَد .

عتابه بنى الحارث

وقيل : نَفَى بنو الحارث بن فِهرٍ نسبَ ابن هَرمة ، فقال :

أحارِ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحوننى ... وجاء العِدامِن غيركم تَبتغى نَصْرِى

فصار من وَلد فِهْر فى ساعته .

وصفه نفسه باللؤم

وكان ابنُ هَرْمة دعيًّا فى الخُلج ، والخُلج أدعياء فى قُريش . وكان ابنُ هَرْمة يقول : ألأم العرب دعىّ أدعياء ! ويعنى نفسه .

حديثه مع أسمى

وحكى عبدُ الله بن أبى عُبيدة قال :

زرتُ عبد الله بنَ حسن ببادِيته ، وزاره ابنُ هَرمة ، فجاء رجلٌ من أسلم ، فقال ابنُ هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سَل الأسْلميّ أن يأذن لى

أن أُخبرك خَبرى وخَبره . فقال له عبدُ الله بن حسن : إيذن له . فأَذن له الأسلمىُّ . فقال إبراهيمُ بن هَرمة : إنِّى خرجتُ — أصلحك الله — أبغى ذَوداً[1] لى ، فأَوحشتُ[2] ، وضِفتُ هذا الأسلمىَّ ، فذبح لى شاةً وخَبز لى خُبزاً وأكرمنى . ثم غدوتُ من عنده ، فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ أيضاً فى طلب ذَوْدٍ لى ، فأوحشتُ وقلتُ : لو ضفتُ الأسلمىَّ ؟ فملتُ إليه . فجاءنى بلبن وتمر . ثم خرجتُ بعد ذلك فقلت: لو ضفتُ الأسلمىَّ؟ فاللَّبن والتمرخيرٌ من الطَّوى. فضِفْتُه، فجاءنى بلبن حامض . فقال الأسلمىُّ : قد أجبتَه — أصلحك الله — إلى ما سأل ، فسَلْه أن يأْذن لى أن أُخبرك لم فعلتُ . فقال : إيذن له . فأَذن له . فقال الأسلمى : ضافَنى فسألتُه من هو ؟ فقال : رجل من قُريش . فذبحتُ له الشاة التى ذكرها . والله لو كان لى غيرُها لذبحتُها له حين ذكر أنه من قُريش . ثم غَدا من عندى وغدا علىَّ الحىُّ ، فقالوا : مَن كان ضيفَك البارحةَ ؟ فقلت : رجل من قُريش . فقالوا : ليس هذا من قُريش ، ولكنه دعيٌّ فيها . ثم ضافَنى الثانيةَ على أنه دعىٌّ فى قُريش ، فجئتُه بلبن وتمر وقلت : دعيُّ قريش خيرٌ من غيره . ثم غدا من عندى وغدا الحىُّ علىَّ فقالوا : من كان ضيفَك البارحةَ ؟ فقلت : الرجلُ الذى زَعمتُم أنه دعىٌّ فى قريش . فقالوا : لا والله ما هو دَعىٌّ فى قُريش ، ولكنه دعىُّ أدعياء قُريش . ثم جاءنى الثالثة، فقريتُه لبناً حامضاً . ووالله لو كان شرٌّ منه عندى لقريتُه إياه . فانخذل ابنُ هَرمة ، وضَحك عبد الله وضَحِكنا معه .

لم يرض من المنصور إلا إباحة الشرب له

وكان ابنُ هرمة مُخضرم الدَّولتين ، وهو أحد الشُّعراء الفحول المُجيدين ، وكان مُدْمِناً للشراب ، وامتدح أبا جعفر المنصور فوصله بعشرة آلاف دِرهم . فقال : لا تَقع هذه منِّى موقعاً . فقال : ويحك ! إنها كثيرة . فقال : إن أردتَ أن تَهْنِئَنى

(١) الذود من الإبل : من الثلاث إلى التسع . وقيل : مابين الثلاث إلى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث . (٢) أوحش : جاع ونفذ زاده .

فأبح لى الشَّراب فإنّى مُغرم به . فقال: ويحك ! هذا حَدٌّ من حُدود الله . فقال : احتلْ لى يا أمير المُؤمنين . قال : نعم . فكتب إلى والى المَدينة : من أتاك بابْن هَرمة سكران فاضرب به مائة سوط واضرب ابن هرمة ثمانين . فجعل الجَلْواز[1] إذا مَرّ بابْن هَرمة وهو سكران قال : من يشترى الثّمانين بالمائة ! فلا يعرض له أحد .

وحكى ابنُ هرمة قال :

هو بين ابراهيم ابن عبدالله وابراهيم ابن طلحة

ما رأيتُ قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعمر . أمَّا إبراهيم بن طَلحة فأتيتُه فقال : أحْسِنوا ضِيافة أبى إسحاق . فأُتيت بكُل شىء من الطَّعام . فأردتُ أن أنْشده، فقال : ليس هذا وقتَ الشِّعر . ثم أخرج إلىَّ الغلامُ رُقعةً ، فقال : إيتِ بها الوكيلَ . فأتيتُه ، فقال : إن شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئت أعطيتُك القيمةَ. فأعطانى مائتى دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه فى منزله بمُشَاش[2] على بئر ابن الوليد[3] بن عثمان بن عفّان ، فدخل منزله ثم خرج إلىَّ برُزمة فيها ثياب ، وصُرَّة دراهم ودنانير ، ثم قال : والله ما بقّينا فى منزلنا ثوباً إلا ثوباً نُوارى به امرأة ، ولا حَلْياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال ابن هَرْمة يمدح إبراهيم :

أرَّقتْنى تَلُومنى أُمُّ بكرٍ ... بعد هَدْءٍ واللَّومُ قد يُؤْذينى
حذَّرتْنى الزمانَ ثُمتَ قالت ... ليس هذا الزَّمانُ بالمأمون
قلتُ لمّا هَبَّت تُحذّرنى الدَّهـ ... ـرَ دَعِى اللَّومَ عنكِ واسْتَبْقينى
إنّ ذا الجُود والمَكارِم إبرا ... هيمَ يَعْنيه كُلُّ ما يَعْنينى
قد خَبرناه فى القديم فألفيـ ... ـنا مَواعيدَه كعَيْن اليَقين

(١) الجلواز : الشرطى . (٢) مشاش : موضع على نصف مرحلة من مكة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بئر الوليد » .

قلتُ ما قلتُ للذى هو حقٌّ مُستبينٌ لا للّذى يُعْطينى
نَضحتْ أرضنا سماؤُك بعد الْـ ـجَدب منها و بعد سُوء الظُّنون
فرعَيْنـا آثارَ غَيْثٍ أراقَتْـ ـه يدَا مُحْكَم القُوى مَيْمون

مدحه للسرى

وقيل :

قصد ابنُ هَرْمة السرىَّ بنَ عبد الله الهاشمىّ باليَمامة لدَيْن لَزِمه ، فمدَحه بأشعارٍ كثيرة ، منها قولُه :

وقُل للسَّرّى الواصلِ البرِّ ذى النَّدى مديحاً إذا ما بُثّ صُدِّق قائلُهْ
جوادٌ على العِلَّاتِ يَهتزُّ للنَّدى كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتْه صَياقلُه
نَفَى الظُّلمَ عن أهل اليَمامة عَدْلُه فعاشُوا وزَاح[1] الظُّلْمُ عنهم و باطلُه
وناموا بأَمْنٍ بعد خَوف وشِدَّة بسيرةِ عَدْلٍ ما تُخاف غوائله
وأنت تُرجَّى للذى أنت أهلُه وتَنفع ذى القُرْبى لديك وسائله
بِك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ[2] وغيرَها من الأرض حتّى عاش بالبَقْل آكله

ومدحه بقصيدة أولها :

* عُوجَا نُحىِّ الطَّلول[3] بالكَثَب *

يقول فى مديحها :

دَعْ عنك سَلْمَى وقُلْ[4] مُحبَّرةً لِماجد الجَدِّ طيِّبَ النَّسَبِ
مَحْضٍ مُصَفَّى العُروق يَحْمده فى العُسْر واليُسْر كُلُّ مُرْتقب
الواهبِ الخَيْلَ فى أَعِنَّتِها والوُصَفاءِ الحِسانَ كالذَّهب

(١) زاح : انزاح وذهب .
(٢) فى الأصل : * بك الله أحيا الأرض حجراً وأهلها *
(٣) الكثب : موضع بديار طيء .
(٤) المحبرة : المقالة المجودة والمحسنة .

مجـداً وحمـداً يُفيده كـرماً والحمدُ فى الناس خَيرُ مُكتَسب

فأمر له بسبعمائة دينار لقضاء دَينه ، ومائة دينـار يتجهّز بها إلى أهله ، ومائة دينار يأخذ بها هديّةً لهم .

بينه وبين رجل سأله عن بيتين

وقيل : قال رجلٌ لأبن هرمة : من قائل هذين البيتين :

ومهما أُلامُ[1] على حُبِّهم فإنِّى أُحبُّ بنى فاطمَـهْ
بَنى بِنْت مَن جاء بالمُحْكما تِ والدِّين والسُّنّة القائمه

والبيتان لأبن هرمة . فقال أبنُ هرمة : قائلُهما مَن عَضَّ بَظْرَ أُمه . فقـال له بنُه : يا أبت ، ألستَ قائلَهما ؟ قال بلى . قال : فلم شتمتَ نفسك ؟ قال : أيس أن يَعَضَّ المرء بَظر أُمه خيرٌ من أن يأخذَه أبنُ قَحْطبة[2] .

تعقيب لابن واصل فى بطش المنصور بالعلويين

قلت : و إنما خاف ابنُ هرمة من نسبة الشِّعر، لأنّ المَنصور كان شديدَ الطَّلب لمن يَميـل إلى العلويِّين ، والتَّتبع لمن يُحبهم لخروجهم عليه . وكان خَرج عليه محمد ابن عبد الله بن الحَسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب بالمدينـة ، وأخوه إبراهيم بالبصرة ، سنة خمس وأربعين ، فهزما وقُتلا وحُمل رأساهما إليه .

نزوله برجل يقود على ابنتيه

وقيل :

نزل أبنُ هَرمة على رجل ، له زَوجـة وأبنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما ، ودَفع إليه دراهم ليُنفقها عليهم فى طَعام وشراب . وأقام ابنُ هرمة مع أبنتيه حتى خفّ ذلك المالُ . وجاء قوم آخرون ومعهم مال، فأخبرهم الرجلُ بمكان أبن هرمة ، فأستثقلوه وكرهوا أن يَعـلم بهم . فأمر أبنتيه ، فقالتا : يا أبا إسحاق . ما دَريتَ ما الناسُ فيـــه : زُلْزل بالرَّوضة ؟ فتغافَلهما . ثم جاء أبوهما مُتفازعاً ، فقال له :

(١) لم يجزم الفعل هنا شذوذاً .
(٢) هو حميد بن قحطبة ، ولى مصر للمنصور .

أى أبا إسحاق ، ألا ترى إلى ما الناس فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلزل بالرَّوضة . فقال : قد جاءكم الآن إنسان معه مال،وقد نَفضتُ ما جئتُكم به وثَقُلت عليكم، فأردتَ إدخاله و إخراجى ، أيُزَلزل بروضة من رياض الجنَّة و يُترك منزلك وأنت تَجمع فيه الرِّجالَ على ابنَتَيْك ! والله لا عُدتُ إليك ! وخَرج من عنده .

هو وابن عمران وأبو ثابت

وقيل :

مدح ابنُ هرمة محمدَ بن عِمران الطَّلْحى ، فألفاه روايتُه وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّة قد جاءته من[1] الفُرْع أو خَيبر . فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت عِمْران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضرٌ عنده ، وأخبره بعِيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يعرِّضنى للسانه ، قُودوا القِطار إليه .

ليم فى مدحه أبا الحكم

وقيل :

مدح ابنُ هَرمة أبا الحكم المُطَّلب بن عبد الله بقوله :

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَنى ... وأَوْرثْننى بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ

سَليلُ مُلوكٍ سَبْعةٍ قد تَتابعوا ... هم المُصطفَوْنَ والمُصَفَّوْن بالكَرم

فلامُوه وقالوا : أتمدح غلاماً حديثَ السِّنِّ بمثل هذا ؟ وكانت لابن هرمة ابنةٌ كان يلقِّبها عُيينة ، فقال مُجيباً لهم :

كانت عُيينة فينا وهى عاطلةٌ ... بين الجَوارى فحَلَّاها أبو الحَكَمِ

فَمنْ لَحانا على حُسن المَقال له ... كان المُليمَ وكُنَّا نحن لم[2] نُلِمِ

سبب هجائه لعبد العزيز بن المطلب

وقيل :

أرسل ابنُ هَرمة إلى عبد العزيز بن المُطَّلب بكتابٍ يشكو فيه بعض حاله

(١) الفرع : قرية قرب الربذة على ثمانية برد من المدينة .

(٢) ألام الرجل : وقع فيما يلام عليه .

فبعث إليه بخَمسةَ عشر ديناراً . فمكث شهراً ثم بعث يطلُب شيئاً آخر بعد ذلك . فقال : أنا والله لا أقوى على ما كان يقوى عليه الحكمُ بن المُطلب . وكان عبدالعزيز هذا قد خَطب إلى امرأة من ولد عُمر ، رضى الله عنه، فردَّتْه ، فخطب إلى امرأة من بنى عامر بن لُؤىّ ، فزوَّجوه . فقال ابنُ هرمة يهجوه :

خَطبْتَ إلى كعبٍ فردُّوك صاغراً ... فحوَّلتَ من كَعبٍ إلى جِذْم عامرِ
وفى عامرٍ عزٌّ قديم و إنما ... أجازك فيهم هزلُ أهل المقابرِ

وقال فيه أيضاً :

أبا لبُخْلِ تَطْلُب ما قدّمتْ ... عَرانينُ جادتْ بأموالِها
فهيهات خالفتَ فِعْل الكرام ... خلافَ الجمال بأبْوالِها

أغراء قوم بالحكم فسأله فأجابه

وقيل :

جلس ابنُ هَرمة مع قوم على شَراب ، فذُكر الحكمُ بن المُطَّلب فأطنب فى مَدحه . فقيل له : إنك لتُكثر ذكر رجلٍ لو طرقتْه الساعةَ فى شاةٍ يقال لها «غَرَّاء» تسأله إيّاها لردَّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله . وكانوا قد عَرفوا أن الحكم بها مُعْجب . وكان فى داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفى رأسه ما فيه ، فدقّ باب الحكم، فخَرج إليه غُلامُه . فقال : أَعْلِمْ أبا مروان بمَكانى . وكان أَمَرَ ألّا يُحجب ابنُ هَرمة عنه ، فأعلمه به . فخَرج إليه مُتَشحاً ، فقال : أفى هذه الساعة ! قال : نعم . جُعلت فداك ، وُلد لأخٍ لى فى هذه الساعة مَولود فلم تدِرّ عليه أُمه ، فطلبوا شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذُكرت لى شاةٌ عندك يقال لها « غراء » فسألنى أن أسألكها . فقال : تجىء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا بَقِىَ فى الدار شاةٌ إلا انصرفْت بها ، سوقُوهنّ معه . فخَرج بهن

إلى القوم ، ثم قال لهم : ويلكم ! أى شىء صنعتم ! [١] وقَصَّ عليهم القصَّة . وقال : فيهن والله ما ثمنُه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

هو وجيرانه وقد أفرط فى السكر

وقيل :

بلغ من غرامه بالنَّبيذ أنه مرَّ يوماً على جيرانه وهو مُنْبتٌّ [٢] سكراً حتى دَخل منزله ، فلما كان من الغد دخلوا إليه فعاتبُوه على الحال التى رأوه فيها . فقال لهم : أنا فى طَلَب مثلها منذُ دهرٍ ، أما سمعتُم قولى :

أسْألُ الله سكرةً قبل موتى وصِياح الصِّبيان يا سكرانُ

فنفَضوا ثيابهم وخرجوا . وقالوا : ليس يُفلح هذا والله أبداً !

شعر له صدقته جنازته

وحكى الزُّبير بن بكّار قال :

أنشدنى عمِّى لأبن هَرمة :

ما أظُنّ الزَّمان يا أُم عمرٍو تاركاً إن هلكتُ مَن يَبْكينى

قال : فكان والله كذلك ، لقد مات فأخبرنى من رَأى جنازَته ما يحملها إلا أربعةُ نَفر حتى دُفن فى البَقيع .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار ابن هَرمة ، هو :

أفاطم إن النَّأْىَ يُسْلِى من [٣] الهوى ونَأْيُكِ عنّى زادَ قلبى بكم وَجْدَا
أرى حَرجاً ما نلتُ من حُبِّ غيركم ونافلةً من حُبِّكم نلتُها [٤] رُشْدا
وما نَلْتقى من بعد نَأْىٍ وفُرْقَةٍ وشَحْطِ نَوًى إلّا وجدتُ له بَرْدا
على كَبِد قد كاد يُبْدى بها الهَوى نُدُوباً وبعضُ القوم يَحْسبنى جَلْدا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فقالوا : ويحك ! أى شىء صنعت ! فقص » .
(٢) أى منقطع . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « ذوى » مكان « من » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ونافلة ما نلت من ودكم » .

أخبار يونس الكاتب

وابن رهيمة الشاعر

نسب يونس

أما يونس ، فهو ابن سُليمان بن كُرْد بن شِهْرِيار ، من ولد هُرْمُز .

وذُكر أنه مولًى لعَمرو بن الزُّبير . ومَنشؤه بالمَدينة . وكان أبوه مُقيماً[1] بها ، فأسلمه فى الدِّيوان وكان من كُتابه .

أساتذته فى الغناء

وأخذ الغِناء عن مَعبد ، وابن سُريج ، وابن مُحرز ، والغَريض . وأكثر روايته عن مَعْبد . وهو أحذقُ من أخذ عنه .

ابن رهيمة وتشبيبه بزينب

وأمَّا ابنُ رُهَيمة فهو شاعر ، كان فى أيّام الدَّولة الأَموية ، وكان ابن رُهيمة يُشبِّب بزَينب بنت عِكْرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المَخزومىّ ، ويُغنِّى فيه يونس الكاتب ، فافْتضحت بذلك واستعدَى عليه أخوها هشامَ ابن عبد الملك ، فأمر بضَربه خَمْسمائة سَوْط ، وأن يُباح دَمُه إن وُجد قد عاد لذِكْرها ، وأن يفعل ذلك بكُل من غَنَّى فى شىء من شعره . فهرب ابنُ رُهيمة ويونُس الكاتب فلم يُقْدر عليهما . فلما وَلى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ظهر ابن رُهيمة ويُونس . وقال ابنُ رُهيمة :

لئن كنتَ أَطْرَدتنى ظالماً ... فقد كَشَف الله ما أَرْهبُ

ولو نِلْتَ منِّىَ ما تَشْتهى ... لَقَلَّ إذا رضيتْ زَينب

وما شئتَ فاصنَعْه بى بعد ذا ... فحُبِّى لزَينب لا يَذهب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فقيها » .

ومما قاله ابنُ رُهيمة فى زينب ، وهو الشِّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبارَها :

أقصدتْ زينبُ قلبى بعد ما ذهب الباطلُ عنِّى والغزلْ
وعلا المَفْرِقَ شيبٌ شاملٌ واضحٌ فى الرأس منِّى فاشتعل

ومن ذلك قولُه :

أقصدت زينبُ قلبى وسبَتْ عقلى ولُبِّى
تركتنى مُسْتهاماً أستغيث الله ربِّى
ليس لى ذنبٌ إليها فتُجازينى بذنبى
ولها عندى ذنوبٌ فى تنائيها وقُرْبى

ومن ذلك قولُه :

إنما زينبُ همِّى بأبى تلكَ وأُمِّى
بأبى زينبُ لا أكْـ ـنِى ولكنِّى أُسمِّى
بأبى مَن ليس فى قلبه قِيراطُ[1] رُحْم

ومن ذلك قوله :

يا زينبُ الحسناء يا زينبُ يا أكرمَ الناسِ إذا تُنْسبُ
تقيك نفسى حادثاتِ الرَّدى والأُمُّ تفديك معاً والأَب
هل لكِ فى وُدِّ امرئٍ صادقٍ لا يَمْذُق الوُدَّ ولا يَكْذِب
لا يبتغى فى وُدّه[2] مَحْرَماً هيهات منكِ العملُ[3] الأعْيب

ومن ذلك قولُه :

فليتَ الذى يَلْحى على زينب المُنَى تعلَّقه مما لقيتُ[4] عَشِيرُ
فحسبى له بالعُشْر مما لقيتُه وذلك فيما قد تراه يَسِير

(١) الرحم : الرحمة . (٢) المحرم : الحرام .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الأريب » وهو ذو الريب . (٤) عشير ، أى جزء من عشرة .

أخبار إسماعيل بن يسار

النسائى

انقطاعه إلى آل الزبير ومدحه خلفاء بنى أمية

يُكنى أبا فائد . وهو مولًى لبنى تَيم بن مُرّة . تيم قُريش . وكان مُنْقطعاً إلى آل الزُّبير . فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَروان وفد إليه مع عُروة بن الزُّبير رحمه الله ومَدحه، ومَدح الخُلفاء من وَلده بعده . وعاش عُمراً طويلاً إلى آخر سُلطان بنى أُمية . ولم يُدرك الدولة العبَّاسية .

نادرته وسبب تسمية أبيه بالنسائى

وكان مليح النادرة ، وإنما سُمِّى أبوه يَسارٌ النَّسائىَّ لأنه كان يصنع طعام العُرْس ويَبيعه ، فيَشتريه منه مَن أراد التَّعريس من المُتجمِّلين ، ومن لا تَبلغ حالُه اصطناعَ ذلك .

أصله وشعره فى شعوبيته

وكان أصلُه من الفُرس . وكانت فيهم شُعوبيَّة شديدة وتعصُّب للعجم على العرب ، وله فى ذلك أشعار كثيرة يَفخر بها الأعاجم . من ذلك القصيدة التى أولها :

ما على رَسْم منزلٍ[1] بالجَنَابِ ... لو أَبان الغداةَ رَجْعَ الجَوابِ
غَيَّرَتْه الصَّبَا وكلُّ مُلِثٍّ ... دائمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرٍّ[2] السَّحاب
دارَ هِنْدٍ وهل زَمانى بهندٍ ... عائدٌ بالهَوى وصَفْوِ الجَنَاب
كالَّذى كان والصَّفاء مَصُونٌ ... لم تَشُبْه بهجرةٍ واجتنَاب
ذاكَ منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ ... وهى رُؤْدٌ كدُمْية[3] المِحْراب

---

(١) الجناب : موضع . (٢) الملث : الدائم أياما لا ينقطع . والودق : المطر .
(٣) الرؤد : الحسنة . والدمية : الصورة .

غادةٌ تَسْتبى العُقول بعَـــذْبٍ طَيِّب الطَّعم باردِ الأنيـــاب
وأثيثٍ من فوق لَون نَـقِيٍّ كبياضِ اللُّجين فى[1] الزرْياب
فأقِلَّ المَـلام فيهـــا وأقْصِرْ لَجَّ قَلبى من عَوْلتى[2] واكتئابى
صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ ردَّ فى الضَّرع ماقَرى فى[3] العِلاب
انقضتْ شرَّتى وأقْصر جَهْلى واستراحتْ عَواذِلى من عِتَـابى

يقول فيها يفتخر بالعَجم :

رُبَّ خالٍ مُتوَّجٍ لى وعَمٍّ ماجدٍ مُجْتدًى كريم النِّصاب
إنمـــا سُمِّى الفوارسُ بالفُرْ سِ مُضاهاةَ رِفْعـــةِ الأَنْساب
فاتْركى الفخر يا أُمامَ عَلينـــا واتْركى الجَوْر وانطِقى بالصَّواب
واسألى إن جَهِلْتِ عنَّـا وعنـكم كيف كُنّا فى سالف الأَحقاب
إذ نُربِّى بناتِنـــا وتَدُسُّو ن سَـفاهاً بنـاتِـكم فى التُّراب

هو وأشعب فى بيت له

وسمع أشعبُ هذا البيت بحُضور جماعة فقال : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القومُ بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفن القومُ بناتِهم خوفاً من العار عليهن ، ور بّيتموهنّ لتَنيكوهن . فضَحك الحاضرون حتى استغربوا[4] . وخَجل إسماعيلُ بن يَسار حتى لو قَدَر أن يَسيخ فى الأرض لفعل .

افتخر بقومه عند هشام فعذبه ونفاه

وقيل :

دخل إسماعيلُ بن يسار على هشام بن عبد الملك فى خلافته ، وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركة له فى قصر ، فاستنشده وهو يرى أنه يُنشده مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها بالعجم على العرب ، أولها :

(١) الأثيث : الشعر الكثير ، والزرياب : الذهب .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لوعة » مكان « عولتى » .
(٣) قرى : جمع . والعلاب : الإناء يحلب فيه .
(٤) استغربوا : بالغوا فى الضحك .

يا رَبْعَ رامةَ بالعَلْيـاء من[1] رِيم هل تَرْجِعَنَّ إذا حَيَّيْتُ تَسْليمِي

حتى انتهى إلى قوله :

إنى وجـدِّك لا عُودى بذى خَوَرٍ عنـد الحِفَاظِ ولا حَوْضِى بمَهْدوم
أَصْلى كريمٌ ومَجْـدى لا يُقاس به إلى لسانٍ كحَدِّ السَّيْفِ مَسْموم
من مِثْلُ كِسرَى وسابورِ الجُنود معاً والهُرْمُزان لفخرٍ أو لتَعْظيم
جَحاجحٍ سادةٍ بُلْجٍ[2] مَرَازبةٍ جُرْدٍ عِتاقٍ مَساميحٍ مَطاعيم
أُسْد الكتائب يومَ الرَّوع إنْ زَحفوا وهم أَذلُّوا مُلوكَ الشَّرق والرُّوم
يمشُون فى حَلَق المَاذِىِّ سابغةً مَشْىَ الضَّراغِمة الأُسْد[3] اللَّهاميم
هناك إنْ تَسأَلى تُنْبَىْ بأنّ لنا جُرثومةً قَهَرتْ عِزَّ الجَرَائيم

فغضب هشام وقال : يا عاضّ بَظْر أُمه ! علىَّ تَفخر و إيّاى تُنشد قصيدةً تَمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك ! غُطُّوه فى الماء . فغَطُّوه فى البركة حتى كادت نفسُه تخرج . ثم أمر بإخراجه وهو بشرّ ، ونَفاه من وقته عن الرُّصافة . وأُخرج من وقته إلى الحجاز . وكان مُبتلًى بالعصبيّة للعَجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مَحروماً مضروباً مَطْروداً .

استقدمه الوليد فأنشده فأجازه

وقيل :

استقدم الوليدُ بن يزيد إسماعيلَ بن يسار من الحجاز ، فقَدِم عليه . فلما دخل إليه أُستنشده قصيدتَه الميمية التى منها :

كَلْثَمُ أنتِ الهمُّ يا كَلْثمُ وأنتمُ الداء الذى أكتمُ

(١) رامة : منزل فى طريق البصرة إلى مكة . والريم ، يهمز ولا يهمز : واد قرب المدينة .
(٢) جحاجح : سادة ؛ الواحد : جحجح . والمرازبة : رؤساء الفرس ؛ الواحد : مرزبان .
(٣) الحلق : جمع حلقة ، وهى الدرع . والماذى : الدروع اللينة السهلة . واللهاميم : جمع لهميم ، وهو السابق الجواد .

أُكاتم الناسَ هوًى شَفَّنى ... وبعضُ كِتمان الهَوى أَحْزم
قد لُمتنِي ظُلماً بلا ظِنَّة ... وأنتِ فيما بيننا أَلْوم
أُبدِى الذى تُخفينه ظاهراً ... أرتدُّ فيه عنك أو أُقْدم
إمّا بيأس منك أو مَطْمع ... يُسْدَى بحُسن القَول[1] أو يُلْحَم
لا تترُكينى هكذا ميِّتاً ... لا أُمْنَحُ الوُدّ ولا أُصرم
أَوْفِى بما قلتِ ولا تَنْدمى ... إنَّ الوفِىَّ القولِ لا يَنْدم
آية ما جئتُ على رِقْبةٍ ... بعد الكَرَى والحىُّ قد نَوَّمُوا
ودون ما حاولتُ إذ زُرتكم ... أخوكِ والحالُ معاً[2] والحَم
أُخافت المَشْى حِذارَ الرَّدَى ... والليلُ داجٍ حالكٌ مُظْلم
وليس إلّا اللهَ لى صاحبٌ ... إليكمُ والصارمُ[3] اللَّهْذَم
حتى دخلتُ البيتَ فاسْتَذْرفتْ ... عيناكِ لى من شَفَقٍ تَسْجُم
ثم انْجلَى الحُزن ورَوْعاتُه ... وغُيِّب الكاشح[4] والمُبْرِم
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمَةٍ ... يَمْنَحُنيها نَحْرُها والفَم
حتى إذا الصُّبح بدا ضوءه ... وغابت الجوزاء والمِرزم
خرجتُ والوَطْء خَفِىٌّ كما ... يَنْساب من مَكمنه الأَرْقم

فطرب الوليدُ بن يزيد حتى نزل عن فَرْشه وسريره ، وأمر المغنِّين فغنَّوا الصوتَ وشَرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بجائزة سنيَّة وكُسوة ، وسَرَّحه إلى المدينة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الود » مكان « القول » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والعم » .
(٣) اللهذم : القاطع .
(٤) المبرم : الجليس الثقيل .

أنشد عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير فأجازه

وقيل :

دخل إسماعيلُ بن يَسار على عبد الملك بن مَروان لما أفضت الخلافةُ إليه ، بعد مَقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلّم ووقف موقف المُنشد واُستأذن فى الإنشاد ، فقال له عبدالملك : الآن يا بن يسار ! إنما أنت اُمرؤٌ زُبيريٌّ ، لسنا نُريد أن تُنشدنا . فقال : يا أمير المُؤمنين ، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عمن هو أعظمُ جُرماً وأكثر غَناء لأعدائك منِّى ، وإنما أنا شاعر . فتبسَّم عبدُ الملك ، وأومأ إليه الوليدُ ابن عبد الملك أن يُنشده . فأنشده قولَه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء :

ألَا يا لَقومى للـرُّقاد[1] المُشَرَّدِ ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِى
وللحالِ بعد الحالِ يَرْكبها الفَتى ... وللحُبِّ بعد السَّلْوة المُتمرِّد
وللمرءِ يُلْحى فى التَّصابى وقبلَه ... صبا بالقَوافى كُلُّ قَرْم مُمجَّد
وكيف تَناسِى القَلْبِ سَلْمى وحُبُّها ... كَجمْرِ الغَضى تَحت الشَّراسيف[2] مُوقَد

حتى انتهى إلى قوله :

إليك إمامَ الناس من أَرض يَثْرِبٍ ... ونِعْم أخُو ذى الحاجة المُتعمِّدِ
رَحَلْنا لأنَّ الجُود منك خَليقةٌ ... وأنّك لم يَذْمُم جنابَك مُجْتدى
ملكتَ فزِدْت الناسَ ما لم يَزِدْهمُ ... إمامٌ من المَعروف غيرِ[3] المُصرَّد
وقلتَ[4] فلم تَنْقُض قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما سارُوا من العَدْل[5] تَقْتدى
فلمّا وَليتَ الأَمر ضاربتَ دُونه ... وأسنَدْتَه ما تَأْتلى خَير مُسْنَد
جعلتَ هشاماً والوليدَ ذَخيرةً ... ولَيَّيْن للعَهد الوثيق المُؤكَّد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المسهد » مكان « المشرد » .
(٢) الشراسيف : الأضلاع .
(٣) المصرد : القليل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وقمت » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « من الفعل » .

فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّما ، وٱلتفت إلى سُليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقطّب سليمانُ ونَظر إلى إسماعيل نظر مُغْضب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وَزْن الشعر أَخرجه من البيت الأول ، وقد قلت بعده :

وأمضيتَ عزماً فى سُـليمان راشـداً ومَـن يَعْتصم بالله مثلَك يَرْشُـد

فأمر له بألفى دِرهم ، وزاد فى عَطائه ، وفَرَضَ له ، وقال لأولاده : أعطوه . فأَعْطوه ثلاثة آلاف درهم :

أخبار النابغة الجعدى

نسبه

وهو حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور ابن عِكْرمة بن خَصفة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر. ويُكْنَى أبا لَيلى.

وأُمُّه فاخرة بنت عَمرو الأسديّة.

تسميته بالنابغة

وسُمِّى النابغةُ لأنه أقام مُدَّة لا يقول الشِّعر ثم نَبغ فقاله.

وقيل: أقام ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلّم بالشِّعر.

عمره

وقيل: كان قديماً شاعراً مُفْلِقاً طويلَ البقاء فى الجاهلية والإسلام، وإنه أكبرُ من النابغة الذُّبيانى. وهو القائل:

ومَنْ يك سائلاً عنِّى ... من الفِتْيان أيامَ[1] الخُنَانِ
أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجَّتان
فقد أبقتْ صُروفُ الدَّهر منِّى ... كما أبقتْ من السَّيْفِ اليَمانى

وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً. وأراد النابغةُ بأيّام الخُنان وَقْعة كانت لهم، فقال قائل منهم، وقد لقُوا عدوَّهم: خُنُّوهم[2] بالرِّماح. فسُمِّى ذلك العامُ عامَ الخُنان.

ومما يدُلُّ على أنه أقدمُ من النابغة الذُّبيانى أنه عُمِّر مع المُنْذر بن المُحرِّق قبل النُّعمان بن المُنذر، وكان النابغة الذُّبيانى مع النُّعمان بن المُنذر وفى عَصره، فلم يكن له

---

(١) الخنان: داء يأخذ فى حلوق الطير وعيونها، والإبل فى مناخرها. ويشير إلى ما كان أيام المنذر بن ماء السماء.

(٢) خنوهم: اقطعوهم.

قِدَم ، إلّا أنّه مات قبل الجَعدىّ ، ولم يُدرك الإسلام . وأدركه النابغةُ الجَعدىُّ الذى يقول :

تذكَّرتُ شَيئاً قد مَضى لسبيله ومِنْ عادةِ المَحزون أن يَتذكَّرَا
كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وُجوهَهم دنانيرُ مما شِيفَ[1] فى أرض قَيصرا

وعُمِّر مائة وثمانين سنة ، وقال :

لبستُ أُناساً فأفنيتُهم وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسَا
ثلاثة أَهلين أفنيتُهم وكان الإلٰه هو المُستآسا

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

وكنتُ غلاماً أقاسِى الحُرو ب يَلْقى المُقاسون منِّى المِراسَا
فلما دَنَوْنا لجَرْسِ النُّبا ح لم نَعرف الحىَّ إلّا التماسا
أضاءتْ لنا النارُ وجهاً أَغـ ـرّ مُلتبساً بالجمال[2] التباسا

وقيل : إنّ النابغة الجعدىّ أنشد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أبياته السّينيّة التى يقول فيها :

* ثلاثة أهلين أفنيتُهم *

فقال له عُمر : كم لبثتَ مع كُل أهل ؟ قال : ستِّين سنة .

وذَكر ابنُ قُتيبة أنه عاش مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان .

قال أبو الفَرج :

وما ذاك بمُنكر ، لأنه قال لعُمر رضى الله عنه إنه أفنى ثلاثةَ قُرون ، كلُّ قرن ستّين سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون سنة ، ثم عُمِّر بعده فمكث إلى أيام عبد الله

(١) ساف السيف : جلاه . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « بالفؤاد »

ابن الزُّبير ، وقَدِم عليه بمكة ، وقد دعا لنفسه واُسْتماحه ومدحه . و بين عبد الله ابن الزُّبير و بين عُمر نحوٌ مما ذَكر ابنُ قُتيبة . فلا شك أنه بلغ هذه السنين .

هاجى ابن مغراء فغلبه

وهاجَى أوس بن مَغْراء بحضرة الأَخطل، والعجّاج، وكعب بن جُعيل ، فغَلبه أوس ، وكان[1] مُغلَّباً .

قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم ومدحه

وقيل : قدم النابغةُ الجَعدىّ على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومَدحه بقصيدة ، منها :

بلغنا السماءَ مَجْدُنا وجُدودُنا ... وإنا لنَرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فأين المَظهر يا أبا لَيلى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال صلى الله عليه وسلم : قل إن شاء الله . فقال : إن شاء الله . ومن هذه القصيدة :

ولا خَيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكُن له ... بَوادرُ تَحْمى صَفْوه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ فى جَهْلٍ إذا لم يكُن له ... حَليمٌ إذا ما أوْرد الأمرَ أصدرا

فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : لا يَفضُض الله فاك . فلقد أتت عليه مائةُ سنة أو نحوُها وما اُنفضّ مِن فيه سِنّ .

فى جاهليته

وكان النابغة ممّن أنكر الخَمر والسُّكر فى الجاهلية ، وهَجر الأصنام والأزلام .

استئذانه عثمان فى سكنى البادية

ورُوى أنه دَخل على عثمان بن عفّان رضى الله عنه فقال : أستودعك الله يا أمير المُؤمنين . قال : وأين تُريد يا أبا لَيلى ؟ قال : أَلحق بإبلى فأَشرب من ألبانها ، فإنِّى أُنكر نَفسى . قال : أتعرُّباً[2] بعد الهِجرة يا أبا ليلى ! أما علمتَ أن ذلك مكروه ؟ قال : ما علمتُه ، وما كنت لأَخرج حتى أُعْلِمك . فأَذِن له وأجّله فى ذلك

(١) مغلب : يغلب كثيراً .

(٢) تعرب الرجل : صار أعرابيا بعد أن كان عربياً . وفى الحديث : ثلاث من الكبائر ، منها : التعرب بعد الهجرة . وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً .

أجلاً . فدخل على الحَسن والحُسين رضى الله عنهما فودَّعهما . فقالا له : أَنْشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى . فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ له مَن لم يقلْها فنفسَه ظَلَمَا

فقال له الحسن : ما كُنّا نَروى هذا الشّعر يا أبا ليلى إلاّ لأُمية بن أبى الصَّلت . فقال : يا بن رسول الله ، إنّى لصاحبُ هذا الشّعر ، و إن السَّروق عينَ السَّروق مَن سَرق شعر أُمية .

شهد صفين مع على

وحَضرَ النابغةُ الجعدىُّ مع علىّ رضى الله عنه حَربَ صفِّين .

مهاجاته أوس بن مغراء وليلى

وقيل : إن النابغة هاجَى أوس بن مَغراء ، ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه فى الشِّعر . فقال النَّابغةُ : إنّى و إياه لنبتدر بيتاً ، أيُّنا يَسبق إليه يغلب صاحبَه . فلما بلغه قولُ أوس :

لَعَمْرك ما تَبْلَى سَرابيلُ[1] عامرٍ مِنَ اللُّؤْم مادامت عليها جُلودُها

قال النابغة : هذا البيتُ الّذى كُنّا نَبْتدر إليه ، فغُلِّب عليه أوس[2] .

وهاجَى النابغةُ ليلى الأَخيلية :

ألاَ حَيِّيا ليلَى وقُولاَ لهـا هَلَا فقـد ركبتْ أيراً أغَرَّ مُحجَّلَا

وكيف أُهاجى شاعراً رُمْحه اُستُه خَضِيبَ البَنان لا يزال مُكَحَّلا

فأجابتْه ليلى الأخيلية فقالت :

أنابغُ إنْ تَنبغ بلُؤْمك لا تَجِدْ لِلُؤمك إلّا وسْط جعدةَ مَجْعَلا

تُعيِّرنى داءً بأُمك مثلُه وأىّ حَصَانٍ لا يُقال لها هَلا

فغلبتْه .

(١) السرابيل : جمع سربال ، وهو القميص والدرع .

(٢) سبق شىء (ص : ٦١٥) عن مهاجاته لأوس .

وفوده على ابن الزبير

وذُكر أنه أقحمتِ السنةُ[١] نابغةَ بنى جَعدة ، فدخل على ابن الزُّبير المسجد الحرام ، فأنشده :

حكيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمَّا[٢] أتيتَنا ... وعُثمانَ والفاروقَ فأُنزاح[٣] مُعْدِمُ
أتاك أبو لَيْلى يَجُوب به الدُّجى ... دُجَى اللَّيل جَوَّابُ الفَلاة[٤] عَثَمْثَمُ
لتجبُر منه جانباً ذَعْذَعَت به ... صُروفُ اللَّيالى والزمانُ المُصمِّم

فقال له ابن الزُّبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإن الشِّعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزُّبير ، وأما عَفْوته[٥] فإن بنى أسد بن عبد العُزَّى تشغلُها عنك . ولكنْ لك فى مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم ، وحقّ بشركتك أهل الإسلام فى فَيْئهم . ثم أخذ بيده فدَخل به دار النَّعم فأعطاه قلائصَ سبعاً وجَمَلًا رَحيلًا[٦] ، وأَوْقَر له الرِّكابَ بُرًّا وتمراً وثياباً . فجعل النابغةُ يَستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً . فقال ابنُ الزُّبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : ما وليتْ قُريش فَعدلتْ ، واُسترحمت فرَحمت ، وحدَّثت فصدقت ، ووعدت فأنجزت ، فأنا والنبيُّون فُرَّاط لها ضُمُن . وفى رواية : فُرَّاط القاصفين[٧] .

مع على ومعاوية

وقيل :

لمَّا خَرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى صِفِّين خَرج ومعه نابغة بنى جعدة ، فساق به يوماً فقال :

(١) السنة : الجدب والقحط . وأقحمته : قذفت به . يريد نزوحه من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وليتنا » مكان « أتيتنا » .
(٣) فانزاح معدم ، أى لم يبق معدم . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « فارتاح معدم » .
(٤) العثمثم : الجمل الشديد الطويل .
(٥) العفوة : أحل المال وأطيبه .
(٦) الرحيل : القوى على السير .
(٧) الفراط : المتقدمون . والقاصفون : المزدحمون .

قد عَلِمَ المِصْران والعِرَاقُ أَنَّ عليًّا فحلُها[1] العُتاقُ
أبيضُ جَحجاح له رُواق وأُمُّه غالَى بها الصَّداق
أكرمُ من شُدّ بها النِّطاق إن الأُلى جارَوْك لا أفاقوا
لكم سِياقٌ ولهم سِياق قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاق
سُقتم إلى نَهج الهُدى وساقُوا إلى التى ليس لها[2] عِراق
فى مِلَّةٍ عادتها النِّفاق

فلمّا قَدِم معاويةُ بن أبى سُفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تأت أهل المَشْرقين رِسالتى برأى[3] نَصيح لا يبيتُ على العَتْبِ
مَلكتُم فكان الشرُّ آخر عَهدكم لئن لم تَداركْكم حُلومُ[4] بنى كَعْب

وقد كان معاويةُ كتب إلى مَروان بن الحكم ، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه . فدخل النابغةُ على معاوية ، وعنده عبد الله بن عامر ومَروان ، فأنشده :

مَنْ راكبٌ يأتى ابن هند بحاجتى بكُوفان[5] والأنباء تَنْمى وتُجْلَبُ
فيُخبر عنِّى ما أقول ابنَ عامر ونِعْم الفَتى يأوِى إليه[6] المُعصَّب
فإن أخذُوا أهلى ومالى بظِنَّةٍ فإنِّى لحرَّابُ الرِّجال[7] مُحَرِّب
صَبُورٌ على ما يَكره المرء كلِّه سِوى الظُّلم إنِّى إن ظُلمْتُ سأَغْضَب

فالتفت معاويةُ إلى مروان وقال : ماترى ؟ قال : أرى ألا ترد عليه شيئاً . قال: ما أهوَن والله عليك أن يَنْجحر هذا فى غارٍ ثم يقطع عِرْضى علىّ ثم تأخذه العرب

(١) المصران : الكوفة والبصرة . والعتاق ، أى الكريم .
(٢) أى إلى مضلة لا نهاية لها . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأى » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « حرب » .
(٥) كوفان : الكوفة . وفى بعض أصول الأغانى : « على النأى » مكان « بكوفان » .
(٦) المعصب : الذى عصبته السنون وأكلت ماله .
(٧) حراب محرب ، أى شديد الكيد والنكاية .

فترويه . أمَا والله إن كنتَ لمن يرويه ! أُردد عليه كل شيء أخذتَ منه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة الجعدىّ، شعرٌ قاله النابغةُ يُخاطب به عِقال بن خُويلد العُقيلى يحذّره غِبَّ الظُّلم، لما أجار بنى وائل ابن مَعن الباهليّين ، وكانوا قتلوا رجلاً من بنى جَعدة ، فحذّرهم مثلَ حَرب البَسوس إن أقاموا على مثل ذلك فيهم ، وهو :

فأبْلِغ عِقالاً أنّ غاية داحسٍ ... بكفَّيكَ فاُستأْخرْ لها أو تقَدَّمِ
تُجِير علينا وائلاً فى دمائنا ... كأنّك عمّا ناب أشياعَنا عَمِ
كُليبٌ لعمرى كان أكثَر ناصراً ... وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّج بالدَّم
رمَى ضَرْعَ نابٍ فاُستمرَّ بطَعنةٍ ... كحاشية البُرْدِ اليَمانِى المُسهَّم

ثم اُستطرد أبو الفرج بذكر وقعة البَسوس ، فنذكرها مختصرةً .